مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة الثانية والعشرون

معنى والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ والمُظهِرِينَ لأَمرِ اللهِ ونَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ

السَّلامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته أحباب عليٍّ وآل عليّ أيُّها الزهرائيون، أيُّها المنتظرون إمام زمانهم تحياتي المتواصلة ودعائي أن أُوفَقَ لخدمتِكُم، وهذه الحلقة الثانية والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، كانَ الحديثُ في الحلقة الماضية في الشطر الأول من المقطع الرابع من المقاطع الخمسة التي تُمثِّلُ الأُسُسَ والقواعد لفهم الزيارة الجامعة الكبيرة ولبقية الزيارات الشريفة التي وردت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المقطعُ الرابع:

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى اللهِ وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ اللهِ والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ اللهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ – تَقَدَّمَ الكلامُ في هذه العناوين في الحلقة الماضية. الشطرُ الثاني من المقطع الرابع: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ والمُظهِرِينَ لأمرِ اللهِ وَنَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لايَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلونَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.**

العناوين كلها ترتبطُ معانيها وتتعانق فحاواها، مرَّ الكلامُ في معنى المستقرينَ في أمر الله والتامين في محبة الله، وإنما تتفرع هذه المعاني وهذه الحقائق على حقيقةٍ واضحةٍ جلية جاءت مذكورةً هنا: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ** – المقطع الرابع ابتدأ: **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى اللهِ** – هُم دُعاةٌ إلى اللهِ في كُلِّ طبقات الوجود، ثُمَّ هُم أدلاءٌ على مرضاة الله، الدعوةُ إلى الله والدلالةُ على مرضاة الله يتفقانِ في الحقيقةِ وفي المضمون ويتفرعُ كُلُّ ذلك على معنى الاستقرار في أمر الله – **والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ اللهِ** – ويتفرَّعُ كُلُّ ذلك ويلتقي به في جميع جهاتهِ في معنى التمامية في محبَّة الله – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ** – هُناك من يقرأها: **والمُخلِصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ** – وأهلُ البيتِ هُم سادةُ المُخلِصين، وأهلُ البيتِ هُم من عَلَّموا الناس الإخلاص في توحيد الله، هُم حقيقةُ الإخلاص وهُم المظهرُ الأتم للإخلاص في توحيد الله، لكنَّ

القراءة الصحيحة: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – هناك عندنا إخلاصٌ، وهناك عندنا خُلُوصٌ، وهناك عندنا تخليصٌ وتَخَلُّص، وهذه مراتبٌ تختلفُ معانيها وتختلفُ مضامينها – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – نحنُ لا نستطيعُ أن نتصور حقيقة هذا المعنى في من وصفتهم كلماتُ أهل البيت كما جاء في دعاءِ شهر رجب، الدعاء الذي أشرتُ إليه يوم أمس الدعاء المروي عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه: **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت**، هذا هو معنى المُخلَصينَ في توحيد الله، فهل نستطيع أن نتصور حقيقة هذا المعنى؟! فبهم ملأت سمائك وأرضك، ليسَ الحديثُ عن تبليغٍ بالألفاظ، وليس الحديثُ عن دعوةٍ للناس – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – هذا هو معنى أنَّهم مُخلَصون في توحيد الله، نحنُ لا نستطيع أن نُدرك هذه الحقيقة، لكننا نبدأ من الجهة الضعيفة لمعنى الإخلاصِ ولمعنى الخُلُوص في توحيد الله في توحيدنا نحنُ.

كيف نستطيعُ أن نُحَقّقَ معنى الإخلاص في التوحيد؟ ما هو معنى الإخلاصِ في التوحيد بالنسبةِ لنا؟ ومن خلال هذه الفتحة الصغيرة وهذه العدسة المُظلِمة، من خلال هذه العدسة المُظلِمة، هي عدسةٌ منيرةٌ بالنسبة لنا، لكنها مُظلِمةٌ بالنسبةِ للحقيقة إذ أننا لا نستطيعُ أن نُبصِر بها شيئاً، ما نُبصِرهُ هو بِحَسَبِنا، بِحَسَبِ كاشفية عقولنا وبِحَسَب نورية مداركنا، وما نملكُ من كاشفيةٍ ومن نورية هي لا شيء في جنبِ من نُخاطِبُهم: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله**، والذين يصفهم إمامُ زماننا: **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت**، وهذه هي حقيقةُ توحيد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحنُ في زيارتنا للإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، وإمامنا الرضا هو ركنُ التوحيد، أهلُ البيت كلهم أركانٌ للتوحيد، لكن هناك الأشهر الحُرُم، العَليّون الأربعة، الأركان الحُرُم: سيدُ الأوصياء وسجاد العترة الطاهرة وإمامُنا الرضا الذي أريدُ أن أقرأ سطوراً مما جاء في دعاء زيارتهِ، وإمامنا الهادي والذي نحنُ نتحدثُ بحديثهِ، فالزيارة الجامعة الكبيرة هي ما فاضت بها شفاه إمامنا الهادي النقي صلوات الله وسلامه عليه، أولئك هم أركان التوحيد الأربعة في سلسلة العصمة والولاية والنبوة، إمامنا الرضا في زيارتهِ الشريفة في الدعاء الذي يُقرأُ بعد زيارتهِ، ماذا يقرأ الزائر وماذا يقول الداعي في دعائهِ؟ الدعاء طويل أنا أشيرُ إلى موطن الحاجة، إلى أن يقول الداعي وهو يخاطبه سبحانه وتعالى:

يا معروف العارفين، يا معبود العابدين، يا مشكور الشاكرين، يا جليس الذاكرين، يا محمود من حَمِده، يا موجود من طلبه، يا موصوف من وحده، يا محبوب من أحبه، يا غوث من أراده، يا مقصود من أنابَ إليه، يا من لا يَعلمُ الغيبَ إلا هو، يا من لا يصرفُ السوء إلا هو، يا من لا يُدَبِّرُ الأمر إلا هو، يا من لا يغفر الذنبَ إلا هو، يا من لا يخلق الخلق إلا هو، يا من لا يُنَزِّلُ الغيثَ إلا هو – بعد

كُلِّ هذه المِدحةِ، بعد كُلِّ هذا التسبيحِ والتنزيه والتمجيدِ لله سبحانه وتعالى – **صلّي على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد واغفر لي يا خير الغافرين** – بعد كُلِّ هذا التمجيد يطلب الداعي هنا المغفرة، ويطلبها بوسيلةِ أيِّ أسمٍ؟ – **يا خير الغافرين** – وخير الغافرين هو الذي يغفرُ كُلَّ شيء، هو هذا خير الغافرين، هو الذي يغفر كُلَّ شيء، بعد هذه المِدحةِ الشريفة – **صلّي على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد** – الوسيلة هنا – **واغفر لي يا خير الغافرين** – خيرُ الغافرين هو الذي يغفرُ كُلَّ شيء، ما تقدمَ وما تأخر وما نحنُ فيه، نحنُ نستغفر الباري لِما تقدم من ذنوبنا ولِما تأخر منها ولِما نحنُ فيه، حتى لو كُنا في أفضل الطاعات فنحن قاصرون ومُقَصِّرون، حتى لو كُنَّا في أفضل الطاعات وفي أجمل الطاعات فنحن نستغفرهُ ونتوب إليه لأننا قاصرون ومُقَصِّرون ومهما فعلنا فنحنُ على حد التقصير – **واغفر لي يا خير الغافرين** – طلبٌ للمغفرة التامة من أين أعرفُ هذا المعنى؟ من أسمهِ خيرُ الغافرين، خيرُ الغافرين هو الذي يغفرُ المغفرة التامة، وهُنا الداعي يطلبُ المغفرة التامة فماذا بعدها – **ربي إنّي استغفرك استغفار حياء** – بعد المغفرة التامة سيأتي استغفارٌ آخر، وهذه العناوين بحاجةٍ إلى شرح لكنني لست بصدد شرح للدعاء أريدُ أن أصِلَ إلى نقطةٍ مهمة.

هذا الدعاء يتحدَّث عن مراتب سلوك النفس الإنسانية وتصاعدها في التوبة والمغفرة حتى تصل القلوب إلى مستوى الإخلاص، والإخلاصُ يأتي بعدهُ الخُلُوص، وبعد الخلوص يأتي التخليصُ والتخَلُّص – **واغفر لي يا خير الغافرين، ربي إنّي استغفرك استغفار حياء واستغفرك استغفار رجاء** – هذه مرتبة ثالثة من الاستغفار، اغفر لي يا خير الغافرين: هذه مرتبة أولى، استغفرك استغفار حياء: مرتبة ثانية، واستغفرك استغفار رجاء، وفارقٌ بين الحياء والرجاء، ولكل عنوانٍ دلالاتهِ ومضامينه – **واستغفرك استغفار إنابة** – وهذه المرتبة الرابعة – **واستغفرك استغفار رغبة** – وهذه الخامسة – **واستغفرك استغفار رهبة** – وهذه السادسة – **واستغفرك استغفار طاعة** – وهذه السابعة – **واستغفرك استغفار إيمان** – وهذه الثامنة – **واستغفرك استغفار إقرار** – وهذه التاسعة – **واستغفرك استغفار إخلاص** – وهذه العاشرة.

والاستغفار هو تطهيرٌ وتنقيةٌ وتجميلٌ وتخليةٌ وتحليةٌ، الاستغفارُ نقاءٌ بعد نقاء، هذه عشرة مراتب، هذه مراتب تتلو مراتب، مرتبة بعد مرتبة، هذه عشر مراتب: المرتبة الأولى: اغفر لي يا خير الغافرين، ثم جاءت مغفرة الحياء، مغفرة الرجاء، مغفرة الإنابة، مغفرة الرغبة، مغفرة الرهبة، مغفرة الطاعة مغفرة الإيمان، مغفرة الإقرار، ثم جاءت مغفرة الإخلاص، لابد أن يمر الإنسانُ بكل هذه المراتب من التنقية ومن التطهير حتى يصلَ إلى مرتبة الإخلاص، ولا يصلُ الإنسان إلى مرتبة الإخلاص إلا بعد استغفار الإخلاص – **واستغفرك استغفار إخلاص** – إذاً كم هي المسافة فيما بيننا وبين الإخلاص؟ هناك مسافةٌ بعيدة، هذا بالنسبة لنا وكما قلتُ في أول حديثي الكاشفيةُ والنورية في مداركنا محدودة تكاد أن تكون ظُلمة بالقياسِ إلى الكاشفيةِ

والنورية العالية في المراتب العالية من الإيمان، لا إلى مراتب أهل البيت، إلى المراتب العالية، كالمرتبة العاشرة التي كان يحظى بها سلمان رضوان الله تعالى عليه وأمثال سلمان، وبعد الإخلاص يأتي الخُلُوص – **واستغفرك استغفار تقوى** – الإخلاص هو نقاء القلبِ من الأغيار، الإخلاص هو أن الإنسان يتوجهُ إلى جهةٍ واحدة ولا يتوجهُ إلى غيرها، أتدري أن أصحاب اليقين يقولون بأن الذي يتوجهُ إلى مضمون ما يقول في صلاتهِ فإنه خارج حد الإخلاص، نحنُ حتى هذا الحد ما وصلنا إليه، نحنُ نصلي ولا نلتفتُ إلى مضامين ما نقول، الروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة تقول بأنَّ من صلّى فريضة ومن صلى ركعتين وهو يعلمُ ما يقول ملتفت إلى ما يقول فقد ضَمِنَ الجنة، وهو يعلم ما يقول في أول مراتبها أنه يلتفتُ إلى الألفاظِ وإلى معانيها.

أصحابُ اليقين يقولون بأن الذي ينشغلُ بالألفاظ والمعاني وهذا الذي نجدهُ بالنسبة لنا في غاية الصعوبة لأن الأذهان والعقول والقلوب تذهب يميناً وشِمالاً فلا نعلم ما نقول إلا قليلاً مما نقول، أصحابُ اليقين يقولون بأنَّ الذي يكون منشغلاً ملتفتاً إلى ما يقول فإنهُ ما كان في حد الإخلاص، فإنه خارجٌ من حد الإخلاص، لأنه قد توجهَ إلى الألفاظِ والمعاني التي في داخل هذه الألفاظ وما توجه إلى الله، أما الخلوصُ فشيءٌ آخر، بعد استغفار الإخلاص ماذا يقول دعاء زيارة الإمام الرضا صلوات الله عليه؟ – **واستغفرك استغفار تقوى** – هذا أولاً – **واستغفرك استغفار توكل** – وتلك من أعلى مراتب السلوك الإنساني إلى الله – **واستغفرك استغفار تقوى، واستغفرك استغفار توكل، واستغفرك استغفار ذِلَّة** – وتلك أحلى معاني الاستغفار، حين يستشعر العبد ذلّتهُ بين يدي الباري، حلاوة العبادة هو في استشعار الذِلَّة – **مولاي يا مولاي أنت الكبير وأنا الحقير وهل يرحم الحقير إلا الكبير، مولاي يا مولاي أنت العظيم وأنا الصغير وهل يرحم الصغيرَ إلا العظيم، مولاي يا مولاي أنت الدائمُ وأنا الزائل وهل يرحمُ الزائل إلا الدائم، مولاي يا مولاي أنت الباقي وأنا الفاني وهل يرحم الفاني إلا الباقي، مولاي يا مولاي أنت الحيُّ وأنا الميت وهل يرحم الميتَ إلا الحيّ، مولاي يا مولاي أنت الغنيُ وأنا الفقير وهل يرحم الفقير إلا الغني، مولاي يا مولاي أنتَ العزيزُ وأنا الذليل وهل يرحم الذليل إلا العزيز** – واستغفرك استغفار ذِلَّة، هذا القِسمُ الثالث بعد المراتب العشرة التي مرت – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك هاربِ منك إليك** – وهذا هو الخُلُوص، هذه أربعةٌ بعد عشرة، وهذا من أعدادنا المقدسة أنتم تعرفونه، عشرةٌ من المراتب وصلنا إلى الإخلاص وبعد الإخلاص أربعةٌ من المراتب ووصلنا إلى الخُلُوص، الخُلُوص هو هذا – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك** – عاملٍ لك في كُلِّ آنٍ من آناتي ومع ذلك – **هاربٌ منك إليك** – هو عاملٌ مخلصٌ، من هو العامل؟

هو المخلص ولكنه هاربٌ حتى من إخلاصه إليك وهذا هو الخُلُوص، عاملٌ لك، لا يكون عاملاً لك حتى يكون مُخلِصاً، بعد كل ذلك الإخلاص فهو عاملٌ لك، لكنه هاربٌ حتى من عملهِ الذي أخلص فيه، هاربٌ من إخلاصهِ إليك، فَفِرّوا إلى الله، فِرّوا، القرآن يأمرنا بذلك، فَفِرّوا إلى الله، هو هذا الفِرار، فَفِرّوا إلى الله – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك هاربٍ منك إليك** – وأيُّ عاملٍ؟ هو عاملٌ لك في كُلِّ آناتهِ بعد الإخلاصِ وبعد استغفار التقوى واستغفار التوكل واستغفار الذلة، فهنا يستغفر استغفار العامل لله لكنه يهربُ من الله إلى الله، لا يمكنُ الفرار من حكومتك، إلى أين أفر؟ أفرُ منك إليك، وهذا ليس فِراراً من ذنوب، المذكور هنا في هذه الزيارة الشريفة في هذا الدعاء في دعاء الزيارة، هذا فِرارٌ إلى الله، فِرارٌ من النقص ومن كل نقص، فِرارٌ من القُصورِ والتقصير في كل أبعادهِ.

في المناجاة الشعبانية المروية عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه هناك إشارةٌ جميلةٌ إلى هذا العامل – **إلهي واجعلني ممن ناديتهُ فأجابك ولاحظتهُ فَصَعِق لجلالك فناجيتهُ سِرّاً وعَمِلَ لك جهراً** – هذا هو العامل الذي يستغفرُ في تلك الزيارة – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك هاربٍ منك إليك** – من هو هذا العامل؟ – **إلهي اجعلني ممن ناديتهُ فأجابك** – ناديتهُ بنداء التوحيد فأجابك بجواب الإخلاص – **إلهي واجعلني ممن ناديتهُ فأجابك ولاحظتهُ فَصَعِق لجلالك فناجيتهُ سِرّاً** – عبدي تَقَدَّم إليَّ شبراً أتقدم إليك ميلاً، حين أُخلِصُ إليه سيُناجيني – **فناجيتهُ سِرّاً وعَمِلَ لك جهراً** – هذا هو العامل الذي يحمل هذه الأوصاف ومع ذلك هو يهربُ من هذه الأوصاف إلى الله – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك هاربٍ منك إليك** – وهذا هو معنى الخُلُوص، الخُلُوص ما بعد الإخلاص، أن العبد يتخلص من كل ما يتعلق بذاته، بذاتياتهِ وبعوارضهِ.

بيني وبينك إنّي يُنازعني فارفع بِلُطفِكَ إنّي من البينِ

بيني وبينك إني، أنا، بما عندي من ذاتياتٍ ومن عرضيات، بكل ما في وجودي وشؤونات وجودي.

بيني وبينك إنّي يُنازعني فارفع بِلُطفِكَ إنّي من البينِ

فناجيتهُ سِرّاً وعَمِلَ لك جهراً – هذا هو التوحيد الذي يمكن أن نتلمس شيئاً من معناه فيما رواه شيخنا الطوسي رضوان الله تعالى عليه في كتابهِ: (مصباح المتهجد وسلاحُ المتعبد) وهو من أمهات كتب الأدعية والمزارات والأعمال، من أمهات كتب الأدعية ومن المصادر الأساسية لكتاب مفاتيح الجنان، في أدعية الأيام والليالي دعاء يرويه الشيخ الطوسي يُقرأ في ليلة الخميس، فيه من أجمل معاني التوحيد، وكُلُّ أدعية أهل البيت تحتوي على هذه المضامين لكنني أوردتهُ على سبيل المثال: **سُبحانكَ ربّنا ولكَ الحمد أنتَ الذي بِكَلِمَتك خلقت جميع خلقك** – بكلمة تكلم كلمة ومن تلك الكلمة خلق الخلق، أول ما خلق الله

المشيئة خلقها بنفسها، خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة وتلك هي الكلمة، تلك هي كلمة الله، اللَّهُمَّ إني أسألُك من كلماتك بأتمها، تلك هي الكلمة الأتم – **سُبحانكَ ربّنا ولكَ الحمد أنتَ الذي بِكَلِمَتك خلقت جميع خلقك وكُلُّ مشيتك أتتكَ** – مشيتك التي خلقتها بنفسها، خلق الخلق بالمشيئة ولكن خلق المشيئة بنفسها – **أنتَ الّذي بكلمتك خلقتَ جَميع خلقك وكُلُّ مشيتك أتتكَ بلا لغوب** – لغوب يعني تعب مشقة – **وكُلُّ مشيتك أتتكَ بلا لغوب آتيت مشيتك ولم تأن فيها لمؤونة** – يعني لم تحتج فيها لمؤونة – **ولم تنصب فيها لمشقة** – النصب هو التعب – **وكان عرشك على الماء والظُلمةُ على الهواء، والملائكة يحملون عرشك عرش النور والكرامة ويسبحون بحمدك والخلقُ مطيعٌ لك خاشعٌ من خوفك لا يُرى فيه** – في هذا الوجود، في هذا الخلق – **نورٌ إلا نورك** – الكلمة الأولى، النور الأول الذي منه تنورت الأنوار – **لا يُرى فيه نورٌ إلا نورك ولا يُسمعُ صوتٌ إلا صوتك حقيقٌ بما لا يحقُّ إلا لك خالق الخلق ومبتدعهُ، توحدت بأمرك تفردت بِمُلكِك فتعظمَّت بكبريائك وتعززت بجبروتك وتسلطت بقوتك وتعاليت بقدرتك وأنت بالمنظر الأعلى فوق السماوات العُلى كيف لا يقصرُ دونك علم العلماء** – وأينَ يقع علم العلماء؟

كيف لا يقصر دونك علم العلماء، سبحانك سبحانك تعاليت عمَّا يقول الظالمون – في نفس الدعاء الشريف هذا الذي تُستحبُّ قراءتهُ في ليالي الخميس كما رواه شيخنا الطوسي رضوان الله تعالى عليه، الدعاء طويل أُشيرُ إلى مقطعٍ آخر منه وهو موطن الحاجة في حديثي – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ باسمك الذي** – أيُّ أسمٍ هذا؟ هذا الأسم الذي خلقتهُ فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك كما جاء في دعاء ليلة المبعث ويوم المبعث، يعني في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب وفي يومها – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ باسمك الذي إذا ذُكِرَ اهتزَّ له عرشك** – أيُّ أسمٍ هذا؟! أيُّ عَظَمَةٍ لهذا الاسم – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ باسمك الذي إذا ذُكِرَ اهتزَّ له عرشك وتهلل له نورك واستبشرت له ملائكتك والذي إذا ذُكِر تزعزعت لهُ السماوات والأرض** – هنا إشارة إلى مجالي الجمال والجلال – **إذا ذُكِرَ اهتزَّ له عرشك وتهلل له نورك واستبشرت له ملائكتك** – هذه مجالي الجمال في اسمهِ الأعظم الأعظم الأعز الأجل الأكرم – **والذي إذا ذُكِر تزعزعت لهُ السماوات** – هذه مجالي الجلال في اسمه – **والذي إذا ذُكِر تزعزعت لهُ السماوات** – مجالي الجلال والجبروت – **والذي إذا ذُكِر تزعزعت لهُ السماوات والأرض والشجر والدواب، والذي إذا ذُكِر تفتحت** – هذه مجالي الرحمة، هذه الرحمة التي سبقت الغضب – **والذي إذا ذُكِر تفتحت له أبواب السماء وأشرقت له الأرض وسبحت له الجبال والذي إذا ذُكِر تصدّعت له الأرض وقدست له الملائكة والإنس وتفجرت له الأنهار والذي إذا ذُكِر ارتعدت منه**

النفوس ووجلت منه القلوب وخشعت له الأصوات – سبحانه من هو هكذا لا هكذا غيرهُ.

أدعية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أفضل مواطن معرفة حقيقة التوحيد، أدعية أهل البيت كنوزٌ لا يستطيع الإنسان أن يعرف قيمتها، وبحورٌ لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من قدرةٍ على الغوصِ في المعارف والمعاني أن يُبحر فيها أو أن يغوص في أسرارها وإنما نحن نأخذ منها كالذي يغمس إصبعه في البحر، كالذي يغمس إبرةً في البحر فماذا يأخذُ من البحر بهذه الإبرة؟ أنت حين تغمس إصبعك في البحر كم من الماء تأخذ من ماء البحر؟ واللهِ إن ما نأخذه من الكنوز والمعاني التي سطرها لنا أهل البيت في أدعيتهم ومُناجياتهم لهو أقلُّ وأقلُّ وأقلُّ بكثيرٍ من هذا الذي نأخذهُ حين نُغطِس أصابعنا في بحرٍ من البحور، أيُّ ماءٍ أيُّ مقدارٍ من الماء نأخذه ونحنُ نغطس إصبعاً من أصابعنا في البحر، ما نأخذهُ من أسرار ومن حقائق وإشارات ولُبابِ ولطائف ما ذكرهُ أهل البيت في أدعيتهم ومُناجياتهم التي وضعوها لنا كمراقٍ نرتقي بها إلى الله، ووضعوها لنا كلوحاتٍ فنيةٍ ملكوتيةٍ نستشفُ منها معنى التوحيد ونستشفُّ منها كيف نتعامل مع الله وكيف نُخلِصُ وكيف نَخلُص، هناك إخلاصٌ وهناك خلوص، كُلُّ هذه المعاني في مستوى العبيد من أمثالنا، إذاً أينَ نحنُ من معاني الإخلاصِ والخلوص والتخَلُّص في أهل البيت؟

تلك معانٍ نحنُ لا نُدركها، نحن يمكن أن نُدرك معاني الإخلاص لأمثالنا فإننا نملك قلوباً كقلوب أمثالنا يمكننا أن نعرف شيئاً من معنى الإخلاص، وإن كان الإخلاصُ في حقيقتهِ لا يستطيع الإنسان أن يُدركهُ إلاّ أن يبلغ هذه المرتبة، وكُلُّ عبدٍ له درجةٌ من الإخلاص لا يستطيع أن يُدرك إخلاص العبد الآخر، فكيف بإخلاص أهل البيت، وكيف بِخُلوص أهل البيت، وكيف بالتخَلُّص والتخليص وهي مراتب أعلى من الإخلاصِ والخلوص، هذا هو معنى لا تسبّوا عليَّاً، والحديثُ ترويه الخاصة والعامة، لا تسبّوا عليَّاً فإنَّه ممسوسٌ بذات الله، ممسوسٌ بذات الله هو تعبيرٌ تقريبيٌ يُقرِّبُ لنا معنى ما تقولهُ الزيارة: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله – السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله** – إنما تَمَّوا في محبة الله لأنهم مُخلَصون في توحيد الله – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – وحين قلتُ بأنَّ هذه القراءة هي القراءة الصحيحة لأن ذلك ما يُشيرُ إليه القرآن الكريم وتلك هي قراءة المصحف الذي بين أيدينا، والعترة والكتابُ لا يختلفان أحدهما يشدُّ الآخر، القرآن هو مرآة العترة والعترة مرآة القرآن.

حين نذهبُ إلى سورة الصافات، ماذا نقرأُ في سورة الصافات؟ في الآيات الأخيرة في الآية التاسعة والخمسين بعد المئة والآية التي بعدها ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تقديسٌ لله عن كُلِّ وصفٍ يصف الخلق به الله سبحانه وتعالى، حين كَبَّر المؤذن وكان أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قريباً منه، لَمَّا كَبَّر المؤذن فقال: الله أكبر، قال هذا الصحابي صاحب الإمام: الله أكبر من كل شيء، قال له إمامنا الصادق،

وهذا توحيدهم هذا توحيد عليٍّ وآل عليّ، قال: متى كان مع الله شيء حتى تقول بأنه أكبر من كل شيء، هل يُقاس الله بغيرهِ، متى كان مع الله شيء؟! قال: فما أقول يا ابن رسول الله؟ قال: قل الله أكبر من أن يوصف، لا تقل الله أكبر من كل شيء، متى كان مع الله شيء حتى نقول بأن الله أكبرُ من كل شيء؟ هل هناك من شيءٍ يمكن أن تكون له قيمة في جنبهِ سبحانه وتعالى؟ وتلك هي حلاوة التوحيد وتلك هي حلاوة المحبة – **إلهي من ذا الذي ذاقَ حلاوة محبَّتِك فرامَ منك بدلاً** – ما أشرتُ إليهِ في الحلقة الماضية في مناجاة المحبين – **إلهي من ذا الذي ذاقَ حلاوة محبَّتِك فرامَ منك بدلاً**.

﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يصف كل واصف، إلاَّ، هناك استثناء، هناك مجموعة تستطيع أن تصف ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾ هذه الآية التاسعة والخمسون بعد المئة والستون بعد المئة من سورة الصافات ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ سبحان الله هذه الكلمة يعني تسبيحاً لله والتسبيح هو التنزيه والتقديس، نفي كل نقصٍ، سبحانه نحنُ نُجِلُّهُ عن وصف كل واصف، إلاّ، هناك مجموعة تستطيع أن تصف ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾ ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يصفون كُلُّ أشكال الخلائق وكُلُّ أشكال الواصفات إلا جهة واحدة تستطيع أن تصف وصفها صحيح، من أرادَ الله بدأ بِكُم، ومن عَرَفَكُم عَرَفَ الله، ومن جَهِلَكُم جَهِلَ الله ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾ وتستمر الآيات، الآية الرابعة والستون بعد المئة، أنا لست بصدد شرح وتفسير سورة الصافات فقط التقط منها لقطات من هنا ومن هناك، في الآية الرابعة والستين بعد المئة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ من هؤلاء؟ ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ الرواية يرويها السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان ينقلها عن تفسير القمي رضوان الله تعالى عليه، علي بن إبراهيم، بسندهِ: **عن يحيى بن مسلم عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه قال: سمعتهُ يقول:** ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ **قال: نزلت في الأئمة والأوصياء من آل مُحَمَّد** – هؤلاء هم الموحدون، هؤلاء هم المُخلَصون – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – نحن لا نعرف مدى إخلاصهم لكننا نأخذُ التوحيدَ منهم، من أرادَ الله بدأ بكم ومن وحدهُ، في نفس الزيارة الجامعة، قَبِلَ عنكم، التوحيد منهم، هُم بابُ الله، هُم بابُ التوحيد، من لم يتجه إلى هذا الباب فليس بِموحد، أما حقيقةُ توحيدهم ما هي؟

نحن لا نعلمها لا نعرفها، هم يعرفونها ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ

مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ صادق الآل يقول: نزلت في الأئمة والأوصياء من آل مُحَمَّد، وتستمر الآيات في سورة الصافات ﴿وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحنُ المُسَبّحُونَ﴾ هؤلاء هُم المُسبحون، هؤلاء هم الذين يقولون سبحان الله عمَّا يصفون، عمَّا تَصِفُ كُلُّ الخلائق لأنهم هم الجهة الوحيدة التي تصفُ الله، لأن الله قد تَعَرَّف بهم إلينا، بهم عرفنا الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحنُ المُسَبّحُونَ﴾.

أيضاً في تفسير عليّ بن إبراهيم: **عن شهاب بن عبد ربه قال: سمعتُ الصادق أبا عبد الله يقول: يا شهاب نحنُ شجرةُ النبوة ومعدن الرسالة ومُختَلَفُ الملائكة، ونحن عهد الله وذمتهُ، ونحن ودائعُ الله وحجتهُ كُنّا أنواراً صفوفاً حول العرش** – هذا في مرتبةٍ من مراتبهم وإلا فالعرشُ من نورهم – **كنا أنواراً صفوفاً حول العرش نُسَبِّحُ الله فَتُسَبِّحُ الملائكة بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض** – وهذه دعوتهم، هُم الدُّعاةُ إلى الله، هم الأدلاء على مرضاة الله، وقلتُ بأنَّ هذه العناوين تتعانق جميعاً فيما بينها في المعنى – **كنا أنواراً صفوفاً حول العرش نُسَبِّحُ الله فَتُسَبِّحُ الملائكة بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فَسَبّحنا فَسَبَّحَ أهلُ الأرضِ بتسبيحنا** – وهذا ليس هو الهبوط لتبليغ الرسالة، هذا هبوط اللُطف، هذه الأرضُ التي إذا حُجِبَ عنها لُطفُ الإمام ساخت – **فَسَبّحنا فَسَبَّحَ أهلُ الأرضِ بتسبيحنا وإنَّا لَنَحنُ الصافون وإنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحون** – هذا قول صادقهم صلوات الله عليه والقرآن هنا يقول ﴿وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحنُ المُسَبّحُونَ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ المقام المعلوم مقام مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ومن غيرهم، قُل لي بربك من غيرهم، أنت يا من تعرفُ مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد – **وإنَّا لَنَحنُ الصافون وإنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحون** – ولا زال الكلام كلام صادقهم – **فمن وفى بذمتنا فقد وفى بعهد الله** – وهذا هو التوحيد، وهذا هو التوحيد على أتم صورهِ – **فمن وفى بذمتنا فقد وفى بعهد الله عزَّ وجلَّ وذمته ومن خَفَرَ ذمتنا** – خَفَرَ الذمة خفرها يعني غطاها، يعني من نقض العهد – **ومن خَفَرَ ذمتنا فقد خَفَر ذمة الله عزَّ وجلَّ وعَهدهُ** – وهذا هو التوحيد وهذا هو الكفر، التوحيد بكل معناه – **فمن وفى بذمتنا فقد وفى بعهد الله عزَّ وجلَّ وذمته، ومن خفر ذمتنا** – فهذا الكفر بكل معناه – **فقد خفر ذمة الله عزَّ وجلَّ وعهدهُ.**

رواية جميلة جداً ينقلها سيد هاشم البحراني أنقل منها موطن الحاجة، الرواية طويلة يتحدث فيها خاتم الأنبياء عن نورهِ ونور عليٍّ فيقول: **خلق نوراً** – الله سبحانه وتعالى – **خلق نوراً فقسمهُ نصفين فخلقني من نصفهِ وخلق عليَّاً من النصف الآخر** – هو يقول، عليٌّ يقول: أنا من مُحَمَّدٍ كالضوء من الضوء – يشير إلى هذا، كلمتهُ المشهورة في نهج البلاغة وفي غير نهج البلاغة – أنا من مُحَمَّدٍ كالضوء من الضوء –

عبارة مختصرة تختصر كُلَّ هذه الأقوال التي ذكرتها – **خلق نوراً فقسمهُ نصفين فخلقني من نصفهِ وخلق عليَّاً من النصف الآخر قبلَ الأشياءِ كُلِّها** – هنا نضع خط كي تتركز هذه الجُملة في أذهان المُحبين: قبلَ الأشياءِ كُلِّها – **خلق نوراً فقسمهُ نصفين فخلقني من نصفهِ وخلق عليَّاً من النصف الآخر قبلَ الأشياءِ كُلِّها، ثُمَّ خلقَ الأشياء فكانت مُظلِمةً فنوّرها من نوري ونور عليّ ثم جعلنا عن يمين العرش** – وتلك مرتبةٌ من مراتبهم وليست هي أعلى المراتب – **ثم خلق الملائكة فَسَبّحنا فسَبّحت الملائكة وهلّلنا فهلّلت الملائكة وكَبّرنا فكبّرت الملائكة فكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ** – يا مُحَمَّدُ يا عليّ يا عليُّ يا مُحَمَّد اكفيانا فإنكما كافيان وانصُرانا فإنكما ناصران صلوات الله عليكما وعلى آلكما الأطيبين الأطهرين، سَعَدَ من والاكم وخاب من جحدكم، ولذلك قلت بأن القراءة الصحيحة: **والمُخلَصينَ في توحيدِ الله،** هؤلاء هم: ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ * وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ الآيات مستمرة ﴿وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ﴾ ومرَّ كلامُ صادقهم نحنُ الصافون نحن المُسبِّحون، تستمر الآيات ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ من هُم؟ أولئك الذين سيصلون الجحيم ﴿لَو أَنَّ عِندَنَا ذِكراً مِّن الأَوَّلِينَ﴾ من الأولين من أصحاب المراتب الأولى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾ لَو أَنَّ عِندَنَا ذِكراً مِّن الأَوَّلِينَ: من أصحاب المراتب العالية، المراتب الأولى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾.

في سورة ص والتي هي شقيقةٌ لسورة الصافات، السورة التي تأتي بعدها، وهناكَ تناغمٌ في المعاني بين هاتين السورتين بين الصافات وص، الآيات الأخيرة من سورة ص والتي تتحدث عن إبليس ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرنِي إِلَى يَومِ يُبعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ * إِلَى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغوِيَنَّهُم أَجمَعِينَ﴾ هو يقول ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ هناك مجموعة ليس لإبليس ولاية عليها، إبليس أثّرَ على آدم وآدم أعلمُ الأنبياء، لكن هناك مجموعة ليس لإبليس ولاية عليها ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ هذه المجموعة واضحةٌ لديك لا حاجة لأن أُترجِمَ لك أسمائها ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغوِيَنَّهُم أَجمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – الآيات مستمرة في آخر سورة ص ﴿قَالَ فَالحَقُّ وَالحَقَّ أَقُولُ * لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم أَجمَعِينَ * قُل مَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ﴾ هنا الحديث عن الأجر، ما الذي جاء به؟ أليس لأن العباد

المُخلَصون هُم هُم الذين مودّتهم هي الأجر ﴿قُل مَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ * إِن هُوَ إِلَّا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ * وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ في نفس سورة ص هذا التعبير موجود، لو كُنَّا نستمر في القراءة ﴿لَو أَنَّ عِندَنَا ذِكراً مِّن الأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوفَ يَعلَمُونَ * وَلَقَد سَبَقَت كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرسَلِينَ * إِنَّهُم لَهُمُ المَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنهُم حَتَّى حِينٍ﴾ .

﴿فَتَوَلَّ عَنهُم حَتَّى حِينٍ﴾ الآية الرابعة والسبعون بعد المئة في سورة الصافات، آخر آية من سورة ص ﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ ماذا يقول آلُ مُحَمَّد في هذه الآيات؟ هذا هو تفسير البرهان وهذا هو الجزء السادس للسيد هاشم البحراني والرواية ينقلها عن الشيخ الكليني عن الكافي الشريف، **عن أبي حمزة الثُمالي عن أبي جعفرٍ في قولهِ عزَّ وجلَّ:** ﴿قُل مَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ * إِن هُوَ إِلَّا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ﴾ **قال: هو أمير المؤمنين** – هذا الذكرُ الذي هو للعالمين هو أميرُ المؤمنين – ﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ **قال: عند خروجِ القائمِ صلوات الله وسلامه عليه.**

الحديثُ يبدأ من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وينتهي عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ويدور حول مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والقرآنُ مع عليٍّ وعليٌّ مع القرآن، والحقُّ مع عليٍّ وعليٌّ مع الحق يدورُ معهُ حيثما دار، الآيات واضحةٌ صريحة والروايات جليةٌ في معناها وفي مضمونها، الخلاصةُ التي نَصِلُ إليها – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – فهم في أتمِ مراتب المحبة لله سبحانه وتعالى، وهم في أعلى مراتب الإخلاص والخلوص والتَخَلُّصِ والتخليص، لقد استخلصهم الله لنفسهِ، التخلُّص والتخليص هو الاستخلاص، الله سبحانه وتعالى استخلصهم لنفسه، وهذه مرتبةٌ خاصةٌ بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك، وذلك هو الاستخلاص، الله سبحانه وتعالى استخلصهم لنفسهِ، يا أحمد خلقتك لي كما جاء في بعض الأحاديث القُدسية – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله والمُظهِرِينَ لأَمرِ الله وَنَهيِهِ** – ولأنهم في هذه المرتبة، في مرتبة الإخلاص والخلوص والاستخلاصِ في هذه المراتب العالية هُم يُظهِرون أمر الله ونهيه، كيف يُظهرون أمر الله ونهيه، هل هو الإظهارُ اللفظي؟ نعم هذه مرتبةٌ من مراتب الإظهار أنهم يُظهرون أمر الله ونهيه باللفظ وبالقول ولكن هذه من أدنى المراتب، لا يمكن الحديث هنا في هذه العُجالة عن مراتب مظاهر الأمر والنهي ولكن سآتي بأمثلةٍ:

المثال الأول ما جاء في الآية الرابعة من سورة المائدة ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُم قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمتُم مِّنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمسَكنَ عَلَيكُم وَاذكُرُوا اسمَ اللّهِ عَلَيهِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ هذه كلابُ الصيد، الكلاب السلوقية التي تُستعمل للصيد لابد أن تُعَلَّم والتعليمُ من الله، هنا مظاهر أمر الله ونهيه في أدون هذه المراتب وما هو أدون منها، هم يُظهرون أمر الله ونهيه في كل مرتبةٍ من المراتب ﴿وَمَا عَلَّمتُم مِّنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ﴾ حتى تعليمُ هذه الجوارح تعليم هذه الكلاب مما علمكم الله ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمسَكنَ عَلَيكُم﴾ ولكن ﴿وَاذكُرُوا اسمَ اللّهِ عَلَيهِ﴾ اذكروا أسم الله، قولوا بسم الله.

أسم الله الذي خلقهُ فاستقرَّ عندهُ، فاستقرَّ في ظله فلا يخرج منه إلى غيرِه، اذكروا أسم الله، وأسمُ الله واضحٌ دلالتهُ، أليس البسملة هي العنوان الأجلى والأوضح لأسم الله، وأليس البسملة كما في حديث سيد الأوصياء تجتمع أسرارها في الباء، وأسرار كل ذلك في النقطة وعليٌّ هو النقطة صلوات الله وسلامه عليه، نقطة البداية ونقطة النهاية أينما ذهبنا فثَمَّ وجه الله، وأينَ وجه الله الذي إليه يتوجهُ الأولياء، أينَ السببُ المُتصل بين الأرض والسماء، أين ما تولوا وجوهكم فَثَمَّ وجه الله، هناك النقطة، هناك مجلى مُحَمَّدٍ وعليّ، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت، إني فارٌّ منكَ إليك، لا يمكن الفِرارُ من حكومتك وهذا هو التوحيد ولا يتحقق التوحيدُ في نفوسنا وفي قلوبنا حتى نستجلي مظاهر أوامر الله ونواهيه – **والمُظهِرِينَ لأمرِ الله وَنَهيِهِ** – هذه أدنى مراتب إظهار الأمر والنهي بحسب ما نستشعره ونتلمسهُ وإلا فدون ذلك مراتب ومراتب أيضاً، وهناك مراتب أعلى وأرقى.

في سورة الأعراف المباركة، هناك منزلة الأمر والنهي في يوم القيامة، منزلة الأعراف، في سورة الأعراف في الآية السادسة والأربعين وما بعدها ﴿وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ﴾ من هم هؤلاء الرجال ﴿يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم﴾ يعرفون أهل الجنان وأهل النيران ﴿وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ﴾ هؤلاء الرجال الذين على الأعراف ﴿وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ﴾ يا عليّ أنت تُدخِلُ أهل الجنان في جِنانهم وأنت تُغلِقُ أبواب الجنان، وأنت تُدخِلُ أهل النيران في نيرانهم ﴿وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيكُم﴾ هذا سلامٌ، هذا

جواب للزيارة الجامعة، نحن حين نُسَلِّم على عليٍّ وآل عليّ فنقول: **السَّلامُ على الدُّعاةِ إلى الله، السَّلامُ على الأدلاء على مرضاة الله، السَّلامُ على التامين في محبة الله، السَّلامُ على المُستقرين في أمر الله، السَّلامُ على التامين في محبّة الله، السَّلامُ على المُخلَصينَ في توحيد الله، السَّلامُ على مُظهري أمر الله ونهيه،** هذا هو جزاءُ هذا السلام ﴿وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ﴾ هذه زيارة، هذه زيارة من آل مُحَمَّد لأشياعهم في الجنان ﴿أَن سَلاَمٌ عَلَيكُم لَم يَدخُلُوهَا وَهُم يَطمَعُونَ * وَنَادَى أَصحَابُ الأَعرَافِ رِجَالاً يَعرِفُونَهُم بِسِيمَاهُم قَالُوا مَا أَغنَى عَنكُم جَمعُكُم﴾ يُخاطبون أهل النار ﴿وَمَا كُنتُم تَستَكبِرُونَ﴾ يبشرون أولياءهم بالجنان ويبشرون أعدائهم بالنيران، وهذه معاني جاءت فيها العشرات بل المئات بل أكثر من المئات من النصوص عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ومن كانت له دراية وخبرة في أفناء حديث أهل البيت فإنه يجدُ ذلك من البديهيات.

حين نذهبُ إلى الكافي الشريف وهذا هو الجزءُ الأول لنرى ماذا يقول أئمتنا صلوات الله عليهم، بعد السند، بعد سندهِ، **عن مُقَرِّن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين:** ﴿وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم﴾ **فقال:** – من الذي قال؟ عليٌّ – **نحنُ على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحنُ الأعراف** – هذه مجالي أهل البيت، مراتب أهل البيت، مرةً هم الأعراف ومرةً هم رجالٌ على الأعراف، فقلت هم مجالي ومظاهرهم في كل مكان، في كل صقعٍ من أصقاع هذا الخلق، في كل ناحيةٍ من نواحي هذا الوجود – **فقال: نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحنُ الأعراف الذي لا يُعرف الله عزَّ وجلَّ إلا بسبيل معرفتنا** – قبل قليل قلت بأن الذي لا يوحد الله من بابهم ليس بموحد – **ونحنُ الأعراف الذي لا يُعرف الله عزَّ وجلَّ إلا بسبيل معرفتنا ونحنُ الأعراف يُعَرِّفُنا الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه، إنَّ الله تبارك وتعالى لو شاء لَعَرَّفَ العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابهُ وصراطهُ وسبيله والوجه الذي يؤتى منه فَمَن عَدَلَ عن ولايتِنا أو عن ولايتَنا أو فَضَّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون فلا سواءٌ** – يا أصحاب العقول يا أصحاب البصائر – **فلا سواءٌ من أعتصم الناس به ولا سواءٌ حيثَ ذهبَ الناس إلى عيونٍ كدرة يفرغُ بعضها في بعض** – عيون كدرة بعضها يصبُ في البعض الآخر – **وذهب من ذهب إلينا إلى عيونٍ صافية** – وهذه هي العيون الصافية:

الزيارة الجامعة الكبيرة، الكافي الشريف، البرهان الشريف، هذه هي العيون الصافية، لا تلك العيون الكدرة التي يلقلقُ بها فلان وفلان وفلان على المنابر وفي الفضائيات ويُقال بأن هذا فكر أهل البيت، هذه هي العيون الصافية – **فلا سواءٌ من أعتصم الناس به ولا سواءٌ حيثَ ذهبَ الناس إلى عيونٍ كدرة يفرغُ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيونٍ صافية تجري بأمر ربها لا نفاذ لها ولا انقطاع** – وهل هناك من عيونٍ صافية أصفى من عيون مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هنيئاً للذين يشربون من هذه العيون الصافية، هنيئاً لنا بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، فوالله ما أدري أأغبط نفسي أم أغبطكم، أم أغبط نفسي وأغبطكم أننا ننهلُ من هذه العيون الصافية من عيون مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

روايةٌ أخرى على هذا السياق وعلى هذا المنوال يذكرها شيخنا المجلسي في الجزء الثامن من بحار الأنوار، هو ينقلها عن بصائر الدرجات بسندهِ: **عن سعد الاسكاف قال: قلتُ لأبي جعفرٍ عليه السلام: قولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فقال: يا سعد إنها أعرافٌ لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرِفوه، وأعرافٌ لا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وأعرافٌ لا يُعرفُ الله إلا بسبيل معرفتهم** – الكلامُ واحد نفسُ كلام سيد الأوصياء ولكن هناك حيثياتٌ يشيرُ إليها أمير المؤمنين صلوات الله عليه وحيثياتٌ أخرى يشير إليها أبو جعفر الباقر – **وأعرافٌ لا يُعرفُ الله إلا بسبيل معرفتهم فلا سواء ما اعتصمت به المعتصمة ومن ذهب مذهب الناس ذهبَ الناسُ إلى عينٍ كَدرةٍ يُفرِغُ بعضها في بعض ومن أتى آلَ مُحَمَّد أتى عيناً صافية تجري بعلم الله ليس لها نفاذٌ ولا انقطاع ذلك لأن الله لو شاءَ لآراهم شخصهُ حتى يأتوه من بابهِ لكن جعل الله مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد الأبواب التي يؤتى منها وذلك قولهُ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾** – كلمات أهل البيت واضحة وأحاديثُ أهل البيت واضحة جداً وجلية والمعاني يشدُّ بعضها بعضاً، معاني الكتاب ومعاني العترة وحديثُ أهل البيت وحديثُ الكتاب شيءٌ واحد.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله، وتلاحظون المعاني كلها تشير إلى هذه الحقائق أنهم دُعاةٌ إلى الله، أدلاءٌ على مرضاة الله، مستقرون في أمر الله، تامون في محبة الله ومُخلَصون في توحيد الله ومُظهِرون لأمر الله ونهيه – **والمُظهِرِينَ لأَمرِ الله وَنَهيِهِ** – كان الحديث عن الأعراف عن مظهرٍ من مظاهر أمر الله ونهيه الذي يتجلى في يوم القيامة وفي مواقف يوم القيامة، كُلُّ أمر الله وكُلُّ نهيه يتجلى في هذه الحقائق المُقدَّسة في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، نحن مثلاً حينَ نذهبُ إلى الزيارة الرجبية، الزيارة التي يستحبُّ قراءتها في كل يومٍ من أيام شهر رجب، في الزيارة الرجبية ونحن نخاطبهم: **أنا سائلكم وآملِكُم فيما إليكم**

التفويضُ وعليكم التعويض فبِكُم يجبَرُ المهيض ويُشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض – وهذه مظاهر أمر الله ونهيه في التكوين – **أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويضُ** – الذي يُفَوَّضُ إليهِ الأمر هو الذي يأمر وينهى – **فيما إليكم التفويضُ وعليكم التعويض** – والذي يُفَوَّضُ إليه التعويض فهو يأمر وينهى يُعطي ويمنع – **فبِكُم يجبَرُ المهيض** – المهيض الذي كُسِرَ جناحهُ – **ويُشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض** – ما تغيض ما تنقص، الزيادة والنقص بأيديهم وبهم وبواسطتهم، والزيادة والنقص أمرٌ ونهي، هم يُظهِرون أمر الله ونهيهِ، نحن نقرأ في الزيارة: **والمُظهِرِينَ أَمرِ اللهِ وَنَهيِهِ – أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويضُ وعليكم التعويض فبِكُم يجبَرُ المهيض ويُشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض** – في زيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، الزيارة التي يرويها المُحدِّث القمي في مفاتيح الجنان وهي الزيارة المطلقة الأولى، يرويها عن الكُليني عن الكافي الشريف، ماذا يأتي فيها؟

إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد – هذه العبارات بحاجة إلى وقفة أن نقف عندها للتدبر والتأمل، إرادةُ الربّ وإرادةُ الرب هي أوامرهُ ونواهيه في كل عالمٍ من العوالم بحسب ذلك العالم، إرادة الرب هي ما يريد وما لا يريد وهي مَجمَع أوامرهِ ونواهيه، مَجمعُ ما يحب وما يبغض – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ** – وما ذاك بغريب إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها، هذه هي المراضي الأوامر النواهي – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ** – مقادير الأمور في الجانب التكويني وفي الجانب التشريعي، في عالم الطبيعة وفي الملأ الأعلى، في عالم الشهادة وفي عالم الغيب، في الأرضِ وفي السماوات، في كل سماءٍ وفي الكرسي، وعند العرش وما بعد العرش – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد** – وكل ما يصدر في تفاصيل أحكام العباد هو يصدرُ من بيوتكم، والحديث عن بيوتٍ هنا ليس عن بيوتٍ أرضية، البيوت الأرضية أيضاً داخلة في هذا المعنى، وبيوتهم كما في رواياتهم مُسقفةٌ بعرش الرحمن وإنهم لا يجدون لبيوتهم سُقُفاً إلا عرشُ الرحمن، هذا في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد** – لذلك الزيارة تشير إلى مصاديق وإلى مظاهر من هذا المعنى المُجمل – **من أراد الله بدأ بكم** – لأن الأوامر والنواهي عندكم، فمن يريد أن يتوجه إلى الله لابد أن يعرف ما يريد وما لا يريد – **من أراد الله بدأ بكم، بِكُم يُبين الله الكذب** – هذا في جانب العلم والحقائق – **وبِكُم يُباعِدُ الله الزمان الكَلِب** – هذا في جانب الأرزاق – **وبِكُم فتَحَ الله وبِكُم يختِمُ الله** – وهذا في الوجود – **وبِكُم يمحو ما يشاء ويُثبِت** – وهذا هو البداء قانون تصريف الوجود – **وبكم يفك الذُلَّ من رِقابِنا** – وذلك هو استجابة الدعاء – **وبِكُم يُدركُ الله تِرةَ كُلِّ مؤمنٍ**

يُطلَبُ بها – وذلك هو تصريف شؤون العباد – **وبِكُم تُنبتُ الأرض أشجارها** – وهذا هو التكوين – **وبِكُم تُخرِجُ الأرض ثمارها، وبِكُم تُنزِل السماء قطرها ورزقها، وبِكُم يكشفُ الله الكرب، وبِكُم يُنَزَّلُ الله الغيث، وبِكُم تُسَبِّحُ الأرض** – وهذه جزءٌ من دعوتهم – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله** – هم دُعاةٌ في كل الطبقات، دُعاةٌ لكل الكائنات لكل الموجودات وإنما سبّحت الكائنات بعد أن سبَّحوا، وقبل قليل مرت علينا الرواية فحين هبطنا إلى الأرض سبَّحنا فسبَّحت الأرض ومن عليها – **وبِكُم تُسَبِّحُ الأرض التي تحمل أبدانكم وتستقر جبالها على مراسيها** – وهذا هو تسبيحُ الكائنات بتعليمهم وبسببهم وبفيضهم ومنهم وإليهم، وكُلُّ هذا يمكن أن يتجلى في قول الزيارة الجامعة ونحن نخاطبهم صلوات الله عليهم – **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ، وَمِيراثُ النُّبُوَّةِ عِندَكُم وَإِيابُ الخَلقِ إِلَيكُم وَحِسابُهُم عَلَيكُم** – هذه كلمات إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه – **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ** – مصاديق هذا الحق هي هذه المعاني التي نقرأها ونتدبر في معانيها ومضامينها في هذه الزيارة التي نزور بها سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، الرواية رواها المُحدِّث القمي، الزيارة الأولى من الزيارات المطلقة لسيد الشهداء في مفاتيح الجنان وقد نقلها عن كتاب الكافي لشيخنا أبي جعفر مُحَمَّد بن يعقوب الكليني رضوان الله تعالى عليه.

كُلُّ هذه المعاني، كُلُّ هذه التفاصيل، كُلُّ هذه الحقائق تُجمِلُها الكلمة التي مرت علينا يوم أمس في دعاءِ ليلة السابع والعشرين من شهر رجب – **وباسمك الأعظَم الأعظمِ الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – هذا الأسمُ الجامعُ المحيطُ كما جاء في الدعاء – **وباسمك الأعظَم الأعظمِ الأعظم** – هذا التكرار ثلاث مرات إشارة إلى أن الأعظم الواحدة لوحدها لا تكفي، إشارة إلى أن اللغة لا تستطيع أن تُعَبِّر عن عَظَمة هذا الأسم لذلك جاء الوصفُ الأعظم الأعظمِ الأعظم، والذكر الثلاثي هو أعلى ذكرٍ في الألفاظ معروف عند العرب، حين يريدون تأكيد معنى أو الحديث عن سعة معنى أو أهمية معنى يكررونهُ ثلاثاً – **وباسمك الأعظم الأعظمِ الأعظم** – في ذلك إشارة واضحة إلى أن اللغة لا تستطيع أن تُعبِّر عن هذه الحقيقة – **الأجل الأكرم** – وهو الأسم الأكرم، الأكرم الذي يفيضُ كرماً، وإنما يفيضَ كرماً كما في هذه الزيارة هذه المعاني التي أشرنا إليها – **وبِكُم تُنبتُ الأرض أشجارها وبِكُم تُخرِجُ الأرض ثمارها** – إلى آخر المعاني الأخرى والتي أجملتها هذه العبارة: **إرادةُ الربِّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدرُ من بيوتكم** – وإرادة الربِّ هي جَمَعُ أوامرِهِ وجَمَعُ نواهيه، هذا المقطع الذي قرأته في دعاء ليلة السابع والعشرين من شهر رجب: **وباسمك الأعظم الأعظمِ الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – هو أيضاً موجودٌ في الدعاء الذي يُقرأ في

نهار يوم السابع والعشرين من شهر رجب.

إنما أكرر هذا الأمر حتى تتضح الصورة عند مُحبّي أهل البيت بأن هذه المعاني وهذه الألفاظ ليست يتيمة، هذه متكررة في عشرات بل في مئات من النصوص، أنا هنا لا أستطيع أن آتي بكل النصوص، في نفس مفاتيح الجنان هذه المعاني متكررة عشرات المرات، ومفاتيح الجنان من الكتب المعتبرة جداً، هؤلاء الذين يقولون بأن كتاب المفاتيح لا قيمة له هؤلاء جَهَلة لا يفهمون شيئاً، هؤلاء لا يعرفون أولاً المُحَدِّث القُمي من هو، وما هي قيمتهُ بين علماء الحديث، ولا يعرفون أن المُحدِّث القمي نقل هذه النصوص من أمهات المصادر الشيعية، لا يعرفون قيمة المصادر التي جمع منها المحدث القمي هذه النصوص، هؤلاء جَهَلة لا يفهمون لا يعرفون مصادر الحديث ولا يعرفون أسانيد الحديث ولا يعرفون دلالات الحديث حتى لو كبرت عمائمهم أو طالت لحَاهُم، العلم لا بالعمائم الكبيرة ولا باللحى الطويلة ولا بكثرة الأموال ولا بالأسماء البراقة في الصحف والفضائيات، العلم في حديث أهل البيت، أئمتنا قالوا: إعرفوا منازل الرجال على قدر ما يُحسنون من رواياتهم عنّا من روايتهم عنّا ومن فهمهم منّا، هناك إحسانٌ في حفظ الرواية والحديث وإحسانٌ في فهم هذه الروايات وفهمهم منّا، لابد أن يكون هذا الفهم من نفس حديث أهل البيت، أهل البيت وضعوا لنا قواعد وأصول في فهم حديثهم وفي استنطاق كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لذلك في بعض الأحيان أنا أشير إلى أكثر من نص، أنا أريد أن أنبه الإخوان والأخوات من مُحبّي أهل البيت إلى أن هذه النصوص التي أوردها هذه النصوص متكررة في حديث أهل البيت في الأدعية في الزيارات في الروايات في الخُطب في الكلمات القصيرة بل الكثير منها موجود في كتب المخالفين لكنني لا أحب أن آتي بهذه النصوص من كتب المخالفين.

المعاني الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة هذه الروايات موجودة في كتب المخالفين، وربما بعض المشاهدين يتذكر في برنامج الملفّ العلوي حين جئت بكتاب إحقاق الحق وملحقات إحقاق الحق هذا الكتاب المكتبة مشحون بالروايات من كتب المخالفين، والكثير من هذه الروايات يوافق ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة فضلاً عن أنه في بداية الحلقة الأولى، في بدايات برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة والبرنامج موجود بكل حلقاتهِ على الموقع الإلكتروني لقناة المودّة، في الحلقات الأولى حينما تحدثتُ عن مصادر هذه الزيارة الجامعة تحدثتُ عن مصادرها الشيعية والسنية وأوردتُ المصدر السُني وعرضتهُ على التلفزيون الذي أوردَ هذه الزيارة بكامل نصها كما هي موجودة في مفاتيح الجنان، لذلك في بعض الأحيان أنا أشير إلى بعض النصوص في أكثر من موطن لأهمية هذه النصوص ولا يعني أنها وردت فقط في هذين الموردين، وإلا فحديثُ أهل البيت وفيرٌ وكثيرٌ جداً، بهذا يتجلى لنا جانبٌ مما جاء في هذه العناوين الشريفة التي وردت في المقطع الرابع من المقاطع الأولى من الزيارة الجامعة الكبيرة – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله والمُظهِرِينَ لأمرِ الله وَنَهيِهِ** – وتستمر الزيارة

الشريفة – **وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لايَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعملونَ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ** – وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ، أعتقد أن الألفاظ واضحة لا تحتاج إلى بيانٍ لغوي، عبادٌ مُكرمون، لا يسبقونهُ بالقول وهم بأمرهِ يعملون هي صورةٌ مُجمَلةٌ لكل المعاني التي مرت، فهم تامون في محبة الله وهُم مُخلَصونَ في توحيد الله وهُم مُظهِرون لأمر الله ونهيه فَهُم عِبادهُ المُكرمون وهذه هي صفتهم: **لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعملونَ**، وتلك هي أوضحُ صفةٍ في أهل البيت.

هذا المعنى مقتنصٌ من الكتاب الكريم من سورة الأنبياء الآية السابعة والعشرون، الآية السادسة والعشرون، السابعة والعشرون، الثامنة والعشرون ﴿**بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ * لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ * يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ**﴾ هذا الوصف هنا في هذه الآيات في حدهِ الأول هو عن الأنبياءِ وعن الملائكة، الآية السادسة والعشرون ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحمَنُ وَلَدًا**﴾ اليهود قالوا بأنَّ الله اتخذ ولداً، النصارى قالوا وأممٌ أخرى ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحمَنُ وَلَدًا سُبحَانَهُ بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ**﴾ لا الملائكة هم أولاد الله ولا الأنبياء أولادُ الله، الملائكة والأنبياء ﴿**بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ * لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ * يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ**﴾ هذا الحد الأول من الآية وإلاّ الحد الأعمق والأوسع هو في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

الآيات لها مطالع ومجاري، ربما البعض قد لا يتوجه إلى معنى قولي بأن الآيات لها مطالع ومجاري، الأئمة هكذا قالوا، قالوا بأن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر له مطالع ومجاري كمطالع الشمس والقمر، القمر يبدأ هلالاً كالشعرة، يبدأُ رفيعاً لوقتٍ قليل ويختفي، ثم يتدرج إلى أن يصل إلى البدر شيئاً فشيئاً، ومن البدرِ إلى المِحاق حيثُ يُمحق فلا يبقى، آياتُ الكتابِ مثل الهلال، هناك بُقَعٌ لا تُضيءُ لنا وهناك بُقَعٌ تُضيء كما يُضيء الهلال في الليلة الأولى، وهناك مطلعٌ آخر للآية كالهلال في الليلة الثانية، وهناك مطلع للبدرِ كما هو في منتصف الشهر، فكأن للآية معانٍ ووجوه لها مطالع وكل مطلع يشير إلى جهة إلى جانبٍ من الجوانب، هذا معنى قول الإمام الصادق عليه السلام بأن القرآن له مطالع ومجاري كمطالع الشمس والقمر، كذلك الشمس في مطلعٍ من مطالعها لا يستطيع الإنسان أن يُشبِعَ عينيه من الشمس أن يملأ عينيه من الشمس من ضوء الشمس حين تكون الشمس في رائعة النهار، ولكن حين يبدأ القرص بالخروجِ أو يبدأ القرص بالغياب يمكن للإنسان أن ينظر إلى الشمس فلها مطالع ولها مجاري، آيات الكتاب أيضاً لها مطالع ومجاري، حين نقرأ الآيات في سياقها الأول فدلالتها على الملائكة وعموم الأنبياء والأولياء وهذا مطلعٌ من

مطالعها، أما المطلع الأوسع والأوضح في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لذلك الرواية فيها إشارةٌ جميلة، حينما تستمر الآيات ﴿بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ * لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ * يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى﴾ لَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى، قد يقول قائل إذاً أينَ شفاعتهم؟! الشفيع من له منزلة وإن كانت إرادتهم هي إرادةُ الله.

الرواية عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء الخامس من تفسير البرهان، **عن الحسين بن خالد: فقلتُ للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله فما معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى﴾ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه** – أي دان بدين مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد ولكنه ارتكب المعاصي، وهذا معنى إن الشفاعة لأهل الكبائر من أُمَّتي، أُمَّة النبي الذين دانوا بدين عليٍّ وآل عليّ – **ولولاك يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي وكان بعدهُ هدىً من الضلال وحبل الله المتين وصراطهُ المستقيم** – هكذا نقرأ في دعاء النُدبة، وهذه روايات وأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله موجودة في كتب الخاصة والعامة في كتب السنة والشيعة، ولولاك يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي – **لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه** – الشفاعة لأهل الكبائر من أُمَّة النبي، وأُمَّة النبي هم الذين دانوا بدين عليٍّ وآل عليّ، نَهَجوا في منهاج عليٍّ وآل عليّ ﴿بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ * لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ * يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى﴾ نحن في رواياتنا نجد بأنَّ الأنبياء بحاجةٍ إلى شفاعة النبي، والروايات في هذا الباب موجودةٌ متوافرة عن أهل بيت العصمة، المقام لا يسع بذكرها الآن إن شاء الله نُشير إليها في وقتٍ آخر حين يكون الحديث عن الشفاعة، الأنبياء كلهم بحاجةٍ إلى النبي وبِحاجةٍ إلى شفاعة النبي والروايات تحدَّثت عن ذلك، لأن الشفاعة لها مراتب ودرجات، ليست الشفاعة فقط هي في الخلاصِ من نارِ جهنم بل هناك شفاعةٌ حتى في نار جهنم، هناك من يكون في نارِ جهنم فتشملهُ الشفاعة في أن يخف العذاب عليه، الشفاعة على مراتب ودرجات، وهناك شفاعةٌ في الجنان في عُلو المراتب والدرجات، الشفاعة مراتب ومراتب مراتب هكذا أخبرنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى﴾ الشفاعة ممكن أن تكون للأنبياء هذا في مطلع من مطالع الآية، الآية لها مطالع ومجاري لكن المطلع الأتم الشفاعة الكبرى هي لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولذلك هو يشفعُ حتى للأنبياء، حتى الأنبياء مُحتاجون لشفاعتهِ، فالمعنى الأتم والأكمل في هذه الآية في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وفي شفاعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد

﴿ بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ * لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ * يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ ﴾ الإمام الهادي صلوات الله وسلامه عليه أورد هذا المضمون وهذا المعنى الذي أخذهُ واقتنصهُ من هذه الآية الكريمة فأودعهُ في الزيارة الجامعة الكبيرة، فَنُسَلِّم على الأئمة:

وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ – والزيارة هنا تتحدث عن عبودية أهل البيت، لئلا يشتبه البعض فيتصور بأن لأهل البيت مقاماً يُقاسُ بِمقام الله، أهلُ البيت عبيدٌ لله في كل مراتبهم، وما الكلمة إلاّ خلقٌ من خلق الله سبحانه وتعالى، وأهل البيت من دونِ الله لا شيء، شيئية أهل البيت مأخوذةٌ من الله سبحانه وتعالى، لذلك الآية التي بعد هذه الآيات إمامنا الهادي يريد أن يُشير إلى هذه الحقيقة ﴿ وَمَن يَقُل مِنهُم إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجزِي الظَّالِمِينَ ﴾ إمامنا الهادي هنا يريد أن يشير إلى هذه الحقيقة، باعتبار أن المعاني التي تقدمت في المقاطع السابقة وفي هذا المقطع في معنى: التامين في محبة الله، المُخلَصينَ في توحيد الله، المُظهرينَ لأمر الله ونهيه، المستقرين في أمر الله كُلُّ هذه المعاني تُشير إلى عُلو منزلتهم ولكن إمامنا الهادي هنا يريد أن يقول بأن ما عند أهل البيت من منزلة في كل العوالِم في كل الطبقات هي بفضلٍ من الله سبحانه وتعالى وهم في مقام العبودية بل إنَّ مقام العبودية الحقيقي ليس إلا لهم وليسَ إلا فيهم، وحتى هذا المعنى الذي قرأتهُ قبل قليل من الزيارة الجامعة الكبيرة – **والحقُّ مَعَكُم وَفيكُم ومِنكُم وإلَيكُم وأَنتُم أَهلُه ومَعدِنُه** – إنما هو عنوانُ عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، لأنهم في أقصى درجات العبودية جاء الكلامُ في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكُم** – إنما ذَلَّ كُلُّ شيءٍ لهم لأنهم في أقصى درجات العبودية، ولأنهم في أقصى درجات الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك الإمام هنا يريد أن ينبهنا إلى هذه الحقيقة أننا مهما اعتقدنا في أهل البيت من المراتب ومن المنازل ومن الدرجات فإنَّ ذلك مَردّهُ إلى الله – **إنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعونَ** – هذا الكلام ينطبقُ علينا وعلى أهل البيت صلوات الله عليهم، الخلقُ مظاهر الحقيقة المُحَمَّدية ومردهم إلى الحقيقة المُحَمَّدية والحقيقة المُحَمَّدية مردها إلى الله سبحانه وتعالى – **وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعلَمُونَ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ** – لأنهم في حقيقة معنى العبودية، ولأنهم في أوضح مجالي العبودية فكانوا هم المظهر الأسمى والأرقى في هذا الخلق فكانوا أسماء الله.

حينما نقرأ في سورة الأعراف في الآية الثمانين بعد المئة ﴿ وَلِلّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي أَسمَآئِهِ سَيُجزَونَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾ وَلِلّهِ الأَسمَاء الحُسنَى: واللام هنا لام المِلك، وَلِلّهِ الأَسمَاء

الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا، كما قلت هذه هي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، ماذا يحدِّثُنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن الشيخ الكليني عن الكافي: **عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا﴾ قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبلُ الله من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا** – في معنى هذه الآية معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا﴾ وهي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، الرواية ينقلها السيد هاشم عن الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، **قال: نحنُ والله الأسماء الحسنى التي لا يقبلُ الله من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا.**

والعياشي رضوان الله تعالى عليه في تفسيرِهِ ينقل عن إمامنا الرضا أنه قال: **إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا﴾ قال: قال أبو عبد الله: نحن واللهِ الأسماءُ الحُسنى الذي لا يقبلُ من أحدٍ إلا بمعرفتنا.**

الشيخ المفيد في كتابهِ الاختصاص ينقلُ عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه: **إذا نَزَلت بِكُم شديدة فاستعينوا بِنا على الله عزَّ وجلَّ** – استعينوا بنا أي أجعلونا وسيلة، نحن وسيلتكم إلى الله – **إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بِنا على الله عزَّ وجلَّ** – شديدة، شديدة من شدائد الدنيا من شدائد الآخرة، شديدة من شدائد الروح أو من شدائد الجسد، من شدائد الدين أو من شدائد الدنيا اليومية التي نعيشها – **إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ وهو قولهُ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا﴾** – فإنهم أسماءُ الله التي نتوسل بها إلى الله.

نحن نقرأ في دعاء علقمة المروي عن الإمام الباقر عليه السلام الذي يُقرأ بعد زيارة عاشوراء – **ليس لي وراء الله ووراءكم يا سادتي منتهى** – وإمامنا الصادق يقول: نحنُ والله الأسماء الحُسنى التي لا يقبلُ الله من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا، إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ.

أيضاً الشيخ المفيد ينقل في الاختصاص: **عن محَمَّد بن مسلم عن أبي جعفرٍ الباقر صلوات الله عليه: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ فقال: ذاك نفسي، قلتُ: فما تقول في الحسن والحُسين؟ قال: هُما روحي وفاطمة أمهما إبنتي يسوءني ما أساءها ويسرني ما سرها، أُشهِدُ الله أني حَربٌ لِمن حاربهم وسِلمٌ لمن سالمهم، يا جابرُ إذا أردت أن تدعو الله فيستجيب لك فادعُه بأسمائهم فإنها أحبُّ الأسماءِ إلى الله عزَّ وجلَّ** – والله يا رسول الله

قسماً بجبينك الزاهر إن أسمائهم لهي أحَبُّ الأسماء إلينا، إن هذه الأسماء: مُحَمَّدٌ، عليٌّ، فاطمة، حَسَنٌ، حُسين وأسماء أبناء الحُسين لَهي أحَبُّ الأسماء إلى قلوبنا، إنا نتوسل إليكَ يا رسول الله بهذه الأسماء أن تنظر إلينا بنظر لُطفك وكرامتك، هذه هي مودتنا ومودتنا على قدرنا، هذه مودتنا لفاطمة وآل فاطمة، نحن نعلم أن من يحِبُّ فاطمة ويُبغِضُ أعدائها أنَّكَ تُحبُّهُ يا رسول الله، نتوسل إليك بِمَحَبَّةِ فاطمة وآل فاطمة وببغض أعداء فاطمة وآل فاطمة.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله والمُظهِرِينَ لأَمرِ الله وَنَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ.

صلوات الله عليكم سادتي آل مُحَمَّد، صلى الله عليك سيدي ومولاي وإمامي بقية الله يا وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أيُّها السبب المتصلُ بين الأرض والسماء، صلوات الله عليه تترادفُ وتزيد صباحاً ومساءَ، بهذا يتمُ الحديث ويتم الكلام في المقطع الرابع من المقاطع الأولى من الزيارة الجامعة الكبيرة، أحباب عليٍّ وآل عليٍّ أسألكم الدعاء وإن شاء الله المقطع الخامس أشرعُ فيهِ في يوم غد نفس الموعد بثٌّ مباشر على شاشة قناة المودة الفضائية، برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة غداً في نفس الوقت ألتقيكم على محبة الزيارة الجامعة الكبيرة وعلى محبة إمامنا الهادي وعلى مودة إمام زماننا الحجة بن الحسن، سلامٌ عليكم أيها الزهرائيون الفاطميون ورحمة الله وبركاته، أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ